تووت !

"عطشانين،وحرانين."،"الأرض قاسية يا أبلا منيرة."

عشرات المرات كررت تلميذاتي الأربعون بالصف الثالث الابتدائي شكواهنّ هذه منذ بداية السنة الدراسية، فحجرة فصلهنّ حارة وتزدحم بهنّ ،وكنّ تفترش بساطا صوفيا خشنا صفيقا داكن يخفف غلظته بعض التطريز الملون في زواياه.

حين أحدث المديرة عن معاناة تلميذاتي تشهق مُظهرة خيبة أملها من قلة صبري،وجهلي بثواب الصابرين،بينما تكون جالسة على كرسيها الوثير الفاخر في غرفتها المكيفة،لتنسخ تقرير الجولة الميدانية للمفتشة تقول به(كل شيء على مايرام).

جلستُ في الفسحة خلف طاولتي أنظر في غرفة المعلمات التي اجتهدنا بتحسينها،حيث اشترت المعلمات الجديدات – وأنا منهن –ترمس كبيراً، نتولى ملأه بماء الشرب، وفي أشهر الصيف الطويلة نُحضّرشراب التوت المركزللمعلمات ليخفف علينا من قيظ الرياض حين ارتشافه بارداً بعد إضافة قطع الثلج له.أماالمعلمات القديمات فقد اشترت خزانتين معدنيتين،أسمينا الأولى(المكتبة) لأننا خصصناها للوسائل التعليمية،والأخيرة أسميناها(البقالة) وخصصناها لحفظ أدوات وعلب الشاي والقهوة،ومعلبات طعام الفطورالذي نتناوله في الفسحة مع أقراص الطعمية،أوالفول وخبز التميس الذي يشتريه لناحارس المدرسة من بوفية قريبة.ثم تحضر المستخدمة البخور الفاخرفي المبخرة لينشر شذى طيباً يبدد رائحة الطعام،فينعشنا عبقه ونحن نشرب الشاي الساخن،بأوراق النعناع الطازجة.حمدت الله على هذه النعم.

بعد دقائق علا صوت الصافرة المزعج المتصل،فقمت مقطبة جبيني،متأبطة دفتري،أستحضردرس هذه الحصة،وارتحت حين تذكرت أنه في مادة المطالعة،قطعة قصيرةعن الصدق،أشرحها بسرعة.

كان الهواء في فصلي ساخناَ لزجاً من عرق التلميذات وأنفاسهنّ حتى أكاد أمسكه!فهي الحصة الأخيرة من يوم الخميس أخر أيام الأسبوع، كانت المروحة تدور في السقف ليس لتلطيف الجو ،إنما لتوزع الهواء الساخن والرطوبة بالعدالة على الصغيرات.أطفئت المروحة،وفتحت النافذة الضيقة التي تطل على المنور والتي سمحت لرائحة البيض المقلي أن تصلنا من حجرة التدبير فتخفف قليلاَ من تركيز الكآبة بالفصل.فتحت الكتاب وطلبت من تلميذاتي متابعتي وأنا أقرأ قطعة "العصفور الكاذب"،و لخصت الدرس سريعاً أنّ الصدق قوة ،والكذب ضعف.

وإذا بسّمية التلميذة تقف وتلهث من الحرّ فظهر لسانها وقد انتصفه خط أبيض شاحب تضادّ مع بشرة وجهها السمراء:

-أنا عطشانة ممكن أروح أشرب من البرادة ؟

هززت رأسي بإشفاق موافقة، وإذ بها تعود بسرعة:

- البرادة ماتصبّ ماء.

وعادت لمكانها مستسلمة،وهي تمسح شفتيها المتشققتين بلسانها الجاف.تنهدتّ ضيقاً من أجلها و من هذا الوضع الكريه،أغلقت الكتاب،و أمرتُ تلميذاتي بالتزام الهدوء،ذهبت لغرفتنا وعدتُ سريعاً بكأس ماء،حالما رأته التلميذات تدافعن نحوي بصخب:

- يأبلا كلنا عطشانين ،مو بس سمية.

سقط الكأس و انسكب الماء.نظرت إليهن بغيظ ممزوج بعجز .وإذ بهن جميعا تحرك يداها أمام وجهها كالمروحة لاستجلاب بعض الهواء!و لم يكن باستطاعتي أن أتجاهل هذه (المعطشة) الجماعية.

كلفتُ أضخم تلميذتين بحفظ الهدوء في الفصل.ثمّ توجهت إلى غرفة المعلمات وتوقفت عند بابها أستطلع بحذر من في داخلها.كنّ ثلاثة معلمات منهمكات بأعمال كتابية.تسللتُ إلى حيث ترمس الماء، وفتحت غطاءه ،ووجدته ممتليء لنصفه،أنزلت الترمس بحذر،و خرجت به بهدوء بعد أن التقطتُ بعض الكوؤس الورقية كانت بجانبه.

أسرعتُ إلى الفصل،و لمّا دخلته،أحكمتُ إغلاق بابه،وطلبت من التلميذات الاصطفاف لأناولنهن كأس الماء ثم العودة لمكانها،وبعد أن شربن جميعاً، التفت إليهن:علت وجوههن ابتسامة بشفاه مرتوية، ليست مشققة عطشاً.

علا صوت الصافرة يعلن عن نهاية الدوام - الوقت المقدس لدى التلميذات – فقامت التلميذات سريعا،لكن ليس لمغادرة الفصل، بل إليّ:تعانقني وتشكرني وتدعو لي.ضممتهن!اعتدل الطقس!فاحت رائحة زكية! لانت الأرض!نعُمَ البساط !امتلأت أرجاء الفصل حباً!

صبيحة يوم السبت تعمدتُ الذهاب لفصلي مباشرة دون المرور بغرفة المعلمات،حتى لايفسد صباحي لومهنّ لي لأخذي الترمس من حجرتهن يوم الخميس.

قبل البدء بشرح الدرس،اقتربت مني سمية ،بينما يدها تغطي فمها خجلاً،وتناولني بيدها الأخرى ورقة رُسم فيها قلب أحمراخترقه سهم و كُتب داخله (أبلا منيرة).لاجديد،فهذه الرسمة ترسمها كل تلميذات المدرسة،إنما الذي أشعرني برعشة هانئة أعادت إليّ مشاعريوم الخميس بصفائها العبارة المكتوبة مع القلب (أسقاك الله من نهر الكوثر يا أبلا منيرة).ضممتُ الورقة إلى صدري،وسألتها:

- من كتب الدعاء لك؟

- أمي.أخبرتها أنك شربتينا كلنا ماء الشاطرات والكسلانات.يوم الجمعة سمعتها تدعو لك ،فقلت لها تكتب دعائها بالورقة لأعطيه لك.أعجبك؟

هززت رأسي إيجابا وضممتها إليّ،فقالت باندفاع:

-أبلا منيرة الله يخليك،كل يوم شربينا موية مو بس يوم الخميس .احنا كل يوم بالصيف نعطش.

وصاحت البقية تؤيدها.فأشرت إلى سمية أن تعود لمكانها ،وأنا أقول لهن:

-اشربوا من البرادة.

تعالت أصواتهن بوقت واحد بتذمر و شكوى يشرحن لي، فطلبت منهن الصمت،ومن سمية أن تتحدث ،فقالت بنبرة قهر:

- ماء البراد دائما حارة،و بنات الصف السادس يخلصونها علينا،مرة كنت أبغى أشرب، دفتني بنت و شربت قبلي.ونبقى نحن عطشانات لأننا صغيرات.

جمدتُ نظرات الاستغراب في عيوني،حتى لايتعاظم لدى الطالبات شعورهنّ بالظلم!كما شعرت بالحنق على نفسي و على منسوبات المدرسة،لصممنا عن سماع متطلبات الصغيرات حتى أنه صار شرب كأس ماء نظيف بارد ،أمنية غالية ترجونني تحقيقها لهم.

وقبل نهاية الحصة قليلا ،أخذت أختلس النظر إليهن و أنا أصحح دفاترهنّ،ماالذي سأتكلفه إن استجبت لطلبهنّ؟ ساتكلف بعض مال ووقت وجهد،ولكن ما سأتكلفه قليل مقارنة بما سأحصل عليه من لحظات الحب التي شعرت بها يوم الخميس.طرقت على منضدتي لألفت انتباههن:

- بإذن الله سأشتري للفصل ترمس ماء لتشربوا منه يوميا.

صفقت البنات بسعادة غامرة،وصحن بكلمات غير مفهومة بدت لي كصياح كتاكيت أُفلتت فجأة من القنّ.

تتالت الحصص الثلاث الأولى ،ليعلو صوت صافرة الفسحة،،تنفستُ سعادة، وأسرعت إلى غرفة المعلمات أُمني نفسي بالفطورالشهي،وقد أنساني الحب خوفي من تأنيب زميلاتي.

ولم اكد أخطو داخل الغرفة إلا و صاحت معلمة بنبرة تسلطّ :

- أبلا منيرة أتعلمين أننا كدنا نموت عطشا يوم الخميس،و عدنا لبيوتنا وقد أُغمي علينا،لأنك أخذت الترمس بدون إستئذان لفصلك! لم يسبق لمعلمة قبلك منذ أن تأسست المدرسة أن تجرأت على هذا التصرف .

ثم خبطت طاولتها بخبطة عالية،تزامنت معها همهمات غاضبة من البقية كإعلان موافقة لما قالته زميلتهنّ.

أجبتها مندهشة من غضبها غير اللائق معي:

-اطمئني ،لن يخرج الترمس من الغرفة،ليس لأنني أطعتك،بل لأنني سأشتري واحدا جديدا لبناتي.

رغم أنني كنت أنظر إليها ،شعرت بنظرات الباقيات تخترقني متعجبة مما قلت.

- تشترين ترمس ماء خاص بالفصل، لم أفهم!

جلستُ فوق طاولتي سامحة لسيقاني أن تتأرجح باستخفاف،ثم فككت ربطة شعري لينسدل على أكتافي:

- ماالغموض في كلامي ؟سأشتري لتلميذاتي ترمس ماءلتشرب منه.فأنت من ظمأ يوم واحد،وأنت بهذه الغرفة الباردة المريحة كدت تموتين كما قلت.بينما تلميذاتي الصغيرات تعاني يوميا من العطش والحروالازدحام .أنا مربية فصلهن وواجبي أن أخفف عنهنّ.

- ترمس خاص للفصل ؟ ولماذا إذا رئاسة تعليم البنات اشترت برادتين ماء للتلميذات ووضعتهما في الساحة؟

ورفعت صوتها حين نطقت بالرئاسة العامة لتعليم البنات لتشعرني بأهمية كلامها.

- غالبا ماء البرادة حارا وغير كافيا.

- هذه ليست مسؤولية المعلمات.وإلا ستضطر كل واحدة منا أن تفعل مثلك.إن كان في تقصير (ارفعي)خطابا للمديرة،والمديرة(ترفع) للمفتشة الإدارية،والمفتشة (ترفع) لرئيسة المكتب،ورئيسة المكتب (ترفع) لمفتشة لمكتب الرئيسي،ورئيسة المكتب الرئيسي(ترفع) لإدارة التعليم،وإدارة التعليم (ترفع) للجهات المختصة.

شعرت بغثيان و هبوط بالضغط أنا أتابع يدها تعلو وتهبط وهي تتحدث،ثم تابعت متهكمة من اقتراحي:

-اليوم تشتري ترمس ماء ،و غدا تشتري لهم ترمس عصيرتووت !

ورفعت صوتها وهي تقول كلمة توت ومطتها حتى بدت بثلاث واوات..

ومضت عيناي .عادت إليّ مشاعر يوم الخميس مركزة كما حدثت،و مثلت أمام عيناي ورقة دعاء أم سمية لي. (أسقاك الله من الكوثر).قلت مبدية إعجابي باقتراحها:

- شراب توت لبناتي في المدرسة؟ فكرة بديعة والله.لم لا.

- بل فكرة متهورة ! كنت أضربها مثالا للاستحالة.احذري من تنفيذها !

هددتني بصوت عال وباستنكار،وهي تنظر للمعلمات لتستقطب استهجانهن لفكرتي.سألتها:

- لماذا فكرة متهورة؟ كما نشربه نحن تشربه التلميذات.

- أنت بالتأكيد تهرجين .طبعا هناك فرق بيننا.

واقتربت مني تربت على كتفي،كأنها تسهل المعلومة لي ،يبدو أنها شكتّ بقدراتي العقلية بمجرد طرحي لهذه الفكرة!

- ياحبيبتي يا أبلا منيرة:يكفي أننا نحن معلمات وهنّ طالبات.وأنت مازلت مستجدة،و الحديث يطول.

ثم عادت تشرب الشاي قبل انتهاء الفسحة.

انغظت منها لقناعتها أنه من السذاجة أو الترف بذل جهد ما لجعل التلميذات تحب المدرسة. ويكفي أن التعليم موفر لهنّ مجانا. وبالمقابل تُقدم للموظفة التي تساهم في تحسين و تزيين غرفتنا عبارات المديح حتى صار الأمر مبالغ به ،وصارت الغرف مجالس بيوت أكثر منها مرفق تعليمي.

ألهمني جدال المعلمة رغم ضيقي منه النية بشراء ترمس شراب التوت لطالباتي.

في الحصة الخامسة ،أخبرت التلميذات عن هذه الفكرة،فتقافزن سعادة ،وأقبلن عليّ دعاء،وعناقا وتصفيقا لهذا الخبر الذي لم تجروء إحداهن على (تخيله).

قبل أن تنتهي الحصة بربع ساعة جاءت المراقبة تستدعيني لغرفة المديرة.تجمدت لحظة دهشة و قلقاً،ثم استعدت نفسي،لأهرول إلى غرفة المديرة و القلق ينغز قلبي يحاول سبر كل الاحتمالات وراء استدعاء المديرة لي أثناء الحصة . أسقطتُ احتمال التأخر الصباحي،والتغيب عن الطابور ،و التأخر عن الحصص،والخروج من الحصة، والتراخي في المناوبة ،فانا أتحمل مسؤولياتي،وأنفر من التهاون بالواجبات.

دخلت الغرفة فأشارت لي بالجلوس.أصابتني عدوى عبوسها فعبستُ مثلها.

- يا أبلا منيرةأخبريني، ماحكاية المشروع الذي تـنوين عمله في فصلك؟

وكانت تسأل بنبرة أفهمها أنها للحليم قبل أن يغضب .

- أستاذة أي مشروع تقصدين؟

أعادت سؤالي لها بنبرة المتماهر في كشف خبيئة النفوس:

- ماذا(أي مشروع تقصدين)؟بعض زميلاتك جئن هنا قبل قليل،وحدثنني عن عزمك بعمل مشروع لتلميذاتك،ولم يقلن ماهو حرصا على مشاعرك،هيا أخبريني،ماهو؟

- آها!فهمت الآن. قلت أنني سأشتري لبناتي ترمس لشراب التوت.

ردتّ عليّ بصوت عال بنبرة تعجب، وكأنني ارتكبت خطيئة :

- ماذا ترمس للتلميذات لشراب تووت؟

ونطقت كلمة توت ممطوطة مثل ما نطقتها المعلمة ،وأضافت بصوت عال وهي تضغط على الحروف مستحيل.

سألت بخوف وفضول لأعرف مخاطر هذا المشروع كما أسمته :

- لماذا؟

نظرت إليّ وقد تجعدّ جبينها استياءربما من جرأتي بالسؤال،و عوضا عن إجابتي رشقتني بأسئلتها

- لماذا تريدين أن تشرب تلميذاتك من بين كل بنات المدرسة عصير(التووت)؟ فتشتكي أمهات الفصول الأخرى و تقول(إيش معنى)؟في المدرسة ستة عشرة فصلا.تخيلي فقط –تخيلي- أن كل فصل به ترمس تووت للبنات.تخيلي المأساة و المعاناة حينما تنصبغ مراييلهن بلونه الأحمر الفاقع ،و عندما تتوسخ الأرض به ،و كيف سترهق المستخدمات من تنظيف بقعه على البلاط،وكم سيكلف ميزانية المدرسة لنشتري مزيدا من الاسفنج ومساحيق التنظيف.

انقطعت أنفاسها من اندفاعها بالحديث،وصارت تسعل سعالا متقطعا ،فاضطرت للتوقف،وفتح الدرج لتتناول حبة دواء،بالحقيقة لم أكن مصغية إليها تماما.كنت أفكر بكيف أجعلها توافق على ماأسمته بمشروع التوت.لم أكن أبدا أطيق أن يقال غدا أنّ تلك المعلمة المتسلطة التي جادلتني انتصرت عليّ ،ثم إنني أيضا وعدت التلميذات ولا أريد خذلانهن،وفي ثوان خطرت على بالي فكرة.ترنحتُ،ثم أوقعت نفسي على الأرض،وأخذت أتنفس بصعوبة. اضطربت المديرة،ونادت المراقبة لتساعدها في هذا الحدث الجلل.أغلقت المراقبة الباب خلفها،واقتربت مني بحذر وصارت تقرأ عليّ سورة الفاتحة،وأفادت باحتمال أن جني تلبسني،فقد حدث هذا لقريبة لها.أعجبتني فكرة الجني المبدعة،وقررت استخدامها لإقناع المديرة.تقمصتُ الدور فلم أتوقف عن التشنج والتنفس المتقطع بصوت مسموع يشبه الخوار(إلى الآن لاأعرف كيف استطعته).توسلتُ المديرة من المراقبة أن تستمر بقراءة الفاتحة ،وقامت هي لتتصل بأبي ليرافقني للبيت لسوء حالتي الصحية .عندها توقفتُ عن التشنج، وفتحتُ عيناي مظهرة التعجب من سقوطي على الأرض.ثم قمت ببطء وأنا أنظر للمديرة بحيرة:

- آسفة يا أستاذة. كنت تكلميني ،لاأدري ماذا حصل.ربما فقدت توازني.

قاطعتني وهي تشير لي بيدها حتى لا أكمل :

- سلامتك.راجعي الوحدة الصحية. أبوك سيأتي لاصطحابك الآن للمنزل.ليس هناك داع للبقاء وأنت مريضة.

دخلت المستخدمة تخبرنا أن والدي ينتظرني في غرفة الحارس.

حالما ركبت السيارة رجوت أبي أن يذهب بي مباشرة إلى سوق الديرة لأشتري أغراضي.استجاب أبي لرجائي لأن السوق لم يكن بعيدا عن المدرسة ،و لأنه يعرف تماما أني لن أتوقف عن الإلحاح حتى أحصل على ماأريد،وخلال نصف ساعة ،وقبل أن تغلق المحلات لصلاة الظهر كنت قد أنهيت شراء احتياجاتي.

نظرت للأغراض بجانبي بالسيارة ،غمرتني مشاعرالسرور وحمدت الله أنني خففت معاناة بناتي مع الحر و الظمأ، مالبث أنّ زاحمتها مشاعرالشماتة والتشفي من المعلمة ومن المديرة.بعد لحظات تعادلت كفتا المشاعر،ثم غلبت مشاعرالتشفي!تنهدت وليكن،من حقي أن أفرح بانتصاري على هاتين المتسلطتين.وتركزت مشاعر التشفي و الشماتة، وغابت مشاعر السرور!

لاأدري - لماذا اليوم بالذات اغتظتُ من ازدحام السيارات وقت الظهيرة،و من حرارة صيف الرياض ،و من طول المسافة من سوق الديرة إلى بيتنا،ومن توقف ابي ليصلي الجماعة في المسجد. كانت هذه أمور متوقعة بهذا الوقت ،إنما اليوم ضجت منها لأسكتُ صوتاً بدأ يؤنبني عن شيء لم أدركه بعد ،لكنني أعلم أنه له علاقة مباشرة بما حدث اليوم بالمدرسة .ولأبدد الملل من الانتظار فتحتُ دفتري لأقرأ ماعليّ تحضيره للغد .كان عليّ إكمال قطعة القراءة (العصفور الكاذب).ارتفع صوت الصوت! أغلقتُ الدفتر،وكأنني ماعدت أرغب بالقراءة.ثم عدت أفتحه بهدوء شديد لأكمل قراءة ماكتبته لبناتي(الصدق قوة،والكذب ضعف)،تنبهت أنّ الصوت بداخلي صار أعلى، وأخذتُ أطمّن نفسي أن ماقمت به عند المديرة هو مزاح،تذاكي، احتيال- ربما كذب - و فعلته بنية إسعاد بناتي.أغلقت الدفتر بانفعال وأعدته لحقيبتي.وأخذت أنتظر أبي ،بينما الإمام يكرر عبارة" الله أكبر" لتصل سمعي ،و تعلو و تنتشر في الفضاء الواسع ثم تعود إليّ.أعدت النظر طويلاً للأغراض،لأقرر تأجيل مشروع شراب التوت،والاكتفاء بإحضار ترمس الماء لهم.

في صباح اليوم التالي أدخلت الترمس،والماء والكوؤس للفصل ،وأخفيتهم خلف الباب لأفاجيء به التلميذات،ثم خرجت للإشراف على الطابور، أسعدتني نظرات تلميذاتي كانت بمثابة سهام حب لها نصل طري كحلوى القطن طريةً تخترق القلب لتغذيه لالتؤلمه.أثناء الإذاعة الصباحية اقتربت مني المراقبة لتهمس بإذني ماجعل ابتسامتي تخبو،وقامتي تنكمش "مفتشة اللغة العربية في غرفة المديرة و ستحضر لي الحصة الأولى."

هرولت باتجاه الفصل لأجهز للدرس، وأخبرت التلميذات أن المفتشة ستحضر الحصة،كانت كلمة (المفتشة) في المدرسة –غالبا- تختصر كثير من المشاعر السلبية أهمها (الخوف).طلبت منهن مساعدتي في شدّ البساط

وتوسيطه بالغرفة ،ثم اجتهدتُ بترتيب جلوسهن ليبدو منظرالفصل مقبولا.وبعد دقائق دخلت المفتشة مقطبة الجبين.التزمت التلميذات بالهدوء التام أثناء الدرس،محافظات على ابتسامتهن رغم الوجود (المخيف) للمفتشة.

حفزتني ابتساماتهن،فجلست وسطهن على البساط ،وقمت بجمع شعري الطويل ، وثبته فوق رأسي ليبدو كعرف من الريش،وطلبت من التلميذات أن تفعل نفس الشيء بشعرهن ،فكنت أنا الأم العصفورة و هن فراخي.و صرتُ أغرد وأزقزق بصوت منخفض تارة و عال تارة أخرى تبعا لما يحتاجه سياق الشرح، و هن تزقزق معي و تحرك أذرعها كأنها أجنحة ترفرف في العش.غمرتني حالة من السعادة وأنا أتقمص هذا الدور،و حين علا صوت الصافرة يعلن انتهاء الحصة،أنزلت عرفي – أقصد شعري- من على رأسي ،وسألت بناتي عما استفدنه من الدرس،وأخذت إجاباتهن منهن سريعا،فكانت(الصدق قوة،الكذب ضعف).شكرتني المفتشة وغادرت الفصل.

ذهبت إلى غرفة المديرة لمعرفة رأي المفتشة،وحينما لمحتها ضحكت غصباً عني حينما تذكرتُ ذعرها أمس لظنها أن جني قد تلبسني.وحدثتني نفسي أنه بعد توقيع أوراق المفتشة ،سأُذكرها بمشروعي،فإن رفضت سأخيفها بالوقوع مرة أخرى.كانت المفتشة غادرت المدرسة و تركت أوراقها عند المديرة لتوقيعها،وأثناء انهماكي بذلك،بادرتني بأسئلتها :

- كيف صحتك أبلا منيرة؟هل ذهبت للطبيبة؟ماذا قالت لك ؟ المهم،المفتشة أعطتك تقدير امتياز،بل و كلفتك بتقديم درس نموذجي،ونادراُ مايتم تكليف معلمة جديدة بذلك!على أن يكون الدرس النموذجي لنفس التلميذات ونفس الدرس قطعة (العصفور الكاذب).لقد أبهرها شرحك و تفاعل التلميذات معك.

اتسعت ابتسامتي كثيرا ووقفت فرحا،وهززت رأسي موافقة ،وإذ بالصوت نفسه يتسلل إليّ ،خبت ابتسامتي وسألتها:

-هل ممكن تغيير الدرس؟

زمتّ شفتيها استياء متعجبة :

-هي طلبت نفس الدرس.ويجب أن ننفذ رغبتها.قالت أنك قدمت الدرس بامتياز وأن التلميذات تفاعلت معك.أخشى أنك لو غيرت الدرس ينخفض أدائك،وتُحرج أمام مكتب الإشراف.

بدأ صوت الأمس يرتفع أكثر،تظاهرت بقراءة الورق وأنا أفكر إما تبديل الدرس،أو إخبار المديرة بالحقيقة لأرتاح من قرع الصوت في داخلي:

-أستاذة ، وماذا عن إحضار ترمس عصير التوت لبناتي؟

نظرت إليّ بحيرة،وطلبت مني الجلوس،وسألتني :

- هل تنتابك نوبة الأمس كثيرا؟ وهل محتمل حدوث هذه النوبة أثناء الدرس النموذجي؟

ضحكتُ لسؤالها:تخيلت نفسي وقد وقعت على الأرض،وأن مفتشتي تمسح وجهي مذعورة و تقرأ سورة الفاتحة.وقفتُ حتى أوحي للمديرة بالجدية،وقلت :

-هذه النوبة لن تأتيني مرة أخرى.

-ماالذي يجعلك متأكدة؟

-لأنني أعرف نفسي تماما. ليس بداخلي جني كما قالت المراقبة.هي ظنت ذلك وأنت صدقتيها.لاتصدقي عني شيئا إن لم أقله أنا.

-أأنت متأكدة يا أبلا منيرة؟

هززت رأسي بقوة أبدى تأكيدي.

-الله يبشرك بالخير،إذا تستطيعين التركيز الآن على الدرس النموذجي لتقدمينه بأحسن طريقة.

-إن شاء الله .وعصير التوت ياأستاذة ؟

-قلت لك ،لا يصحّ أن تلميذات فصلك من بين كل التلميذات تشرب عصير (التووت) بالمدرسة، فتأتي أمهات الفصول الأخرى و تقول(إيش معنى).

بقيت تتحدث،وأنا أنصت لداخلي:لصوت تهنئة رغم خسارتي لرهان عصير التوت،كسبت شيئا أكبر!

عدت للفصل، أحاطت بي التلميذات متلهفات تسألنني(إيش قالت المفتشة عنك يا أبلا؟)أفلتت مني ضحكة فقد ذكرنني بأمي حين تطمئن على نتيجتي بعد امتحان صعب!وبشرتهنّ أنّ المفتشة أعجبت بهنّ وبالدرس.وعند

خروج البنات للفسحة، قمتُ بملأ الترمس ماء،ووضع قطع الثلج الذي احتفظت به في ثلاجة غرفة التدبير،و عندما عادت التلميذات للفصل،شربن حتى الارتواء.

ثمّ أخبرتهن رفض المديرة لإحضار ترمس التوت للمدرسة،وأنه علينا طاعتها.بدت على التلميذات خيبة أمل تبددت حين ذكرتهنّ بدعاء الله أن يعوضهن بشيء آخرغيره.بعد أقل من شهر أرسلت إدارة التعليم للمدرسة كراسي وطاولات جديدة لامعة للمدرسة،أنست التلميذات شراب (التووت)!